المبحث الأول:

إمارة (أبو عريش) خلال فترة الحكم المصري

(١٢٣٥-١٢٥٤هـ/١٨٢٠-١٨٣٨م)

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول
إمارة (أبو عريش) خلال فترة الحكم المصري
(١٢٣٥-١٢٥٤هـ/١٨٢٠-١٨٣٨م)

لقد وضعت حملة خليل باشا على إمارة (أبو عريش) في أوائل عام ١٢٣٤هـ نهاية لحكم أسرة (أبو مسمار)، أحد فروع الأشراف (آل خيرات)، التي حكمت تلك الإمارة خلال الفترة من (١٢١٥ هـ - ١٢٣٤ هـ)[١].

وقام خليل باشا خلال وجوده في (أبو عريش) بتسليم إدارة الجزء الشمالي من المخلاف السليماني والممتد من (ميدي) جنوباً إلى (صبيا) شمالاً، إلى الشريف علي بن حيدر، الذي كان قد استنجد بمحافظ مكة المكرمة حسن باشا لمساعدته ضد الشريف حمود، نظراً للخلاف الذي دب بين الطرفين عام ١٢٣٠هـ.

ومن ناحية أخرى: سلّم خليل باشا إلى إمام اليمن - المهدي عبدالله - الجزء الجنوبي من تهامة اليمن من (ميدي) شمالاً إلى (حيس) جنوباً، وذلك وفق شروط معينة وافق عليها الإمام، وأرسل من صنعاء القاضي محمد الحرازي مع يوسف آغا - مبعوث خليل باشا - ومعهم مسؤولون تم تعيينهم عمالاً على مختلف المناطق، وتم استلام هذا الجزء من خليل باشا قائد العساكر المصرية[٢].

وفي شهر ذي القعدة عام (١٢٣٤ هـ) عاد خليل باشا بقواته إلى الحجاز عن طريق ميناء (الشقيق) بعد أن ترك بعض الحاميات التركية في (أبوعريش)

(*) انظر التفصيل في كتابنا بعنوان: حملة خليل باشا على إمارة (أبو عريش)، منشور في مكتبة العبيكان.

(*) د. حسين بن عبدالله العمري، مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، ٢٢٧.

و(صبيا) وغيرهما من المدن الرئيسة في المخلاف السليماني، ورافقه الشريف علي بن حيدر إلى هناك لتوديعه[١].

ومن هنا يبدأ دور جديد من أدوار تاريخ إمارة (أبوعريش) في ظل فرع آخر من الأشراف هو فرع (آل حيدر) وتحت التبعية لمحمد علي باشا والدولة العثمانية.

ولم نعثر فيما بين أيدينا من الوثائق أو المصادر على ما يشير إلى وجود شروط معينة التزم بها الشريف للباشا أو الدولة العثمانية، وفيما يبدو أن الباشا قد اكتفى بإعلان الشريف الخضوع والتبعية في تلك الفترة التي تلت سقوط الدولة السعودية الأولى التي كان نفوذها قد وصل إلى المنطقة خلال حكم الشريف حمود بن محمد أبو مسمار (١٢١٥ هـ - ١٢٣٣ هـ)، ولعل هناك سببًا استراتيجيًا آخر كان يهدف إليه الباشا من سيطرته على تلك الإمارة وهو اتخاذها قاعدة متقدمة له في سبيل السيطرة على السواحل اليمنية، وهو ما تحقق له لاحقاً، ومن ناحية أخرى أن تقوم بدور فك الكماشة الآخر ضد إمارة عسير المتمردة، وذلك بأن تكون إمارة (أبو عريش) مساعداً رئيساً للقوات القادمة من الحجاز.

عاد الشريف علي بن حيدر إلى (أبو عريش)، وبدأ في اتخاذ الخطوات اللازمة لإعادة تنظيم الأمور، ولكنه فوجئ بتمرد الشريف محمد بن منصور ابن ناصر (١٢٣٥ هـ) والذي استقر به المقام بقرية (الحسيني) من وادي (صبيا)، وجهّز الشريف علي جيشاً وتوجه به إليه، وعندما علم بذلك فرَّ هارباً إلى جبال (الحساب)، وكادت أن تحدث معركة بين الشريف علي وبين أهل

(١) الحسن بن أحمد عاكش، الديباج الخسرواني، ٢٤٢.

(الحسيني) لولا توسط البعض للصلح، والاتفاق على وضع رهائن منهم لدى الشريف[١].

وفي عام ١٢٣٦ هـ عيَّن الشريف علي بن حيدر ابن عمه الشريف زيد بن ناصر بن محمد عاملاً على (صبيا) ومخلافها، على أن يكون لإخوانه نصيب من محصول البلاد، واستغل الشريف زيد الفرصة. وأراد الاستقلال، عندئذٍ واجه الشريف الموقف، وخرج على رأس جيشه، ووصل إلى (صبيا) وحاصرها، وقام بإطلاق المدفعية عليها، عندئذٍ طلب الشريف زيد الصلح والأمان فأعطاه الأمان وعزله من منصبه[٢].

ولم يكن هذا التمرد هو نهاية المطاف، حيث تمرَّد في السنة نفسها الشريف محمد بن أحمد بن حيدر، في وادي (بيش)، وجعل مقره قرية (الملحا)، وواجه الشريف علي الموقف كعادته واتجه بجيشه إليها، وأمر بإحراق القرية، وأقام هناك أياماً، عندئذٍ طلب الشريف محمد ومن معه الأمان والصلح فوافق على ذلك[٣].

وقامت قبيلة (يام) سنة ١٢٣٨ هـ بقيادة محمد بن حديش بالاستيلاء على قبلي مدينة (أبو عريش) وحاصرهم الشريف مدة غير يسيرة، لم تخل منها الاشتباكات، وجرح فيها بعض الأشراف، ولما اشتدت مدة الحصارطلبوا الأمان و لصلح فوافق على ذلك، وتم الصلح والأمان، واطمأن الناس بذلك.

وقد لوحظ أن الشريف زيد بن ناصر الذي عُفي عنه سابقاً قد قام متجهاً

( ) المرجع السابق، ٢٤٦.

(٢) نفسه، ٢٤٧.

(٣) نفسه، ٢٤٩.

obeikandl.com

الشريف حمود القوي على يد قوات محمد علي باشا، ولعل في وصول الشريف علي بن حيدر إلى السلطة عن طريق الحراب العثمانية ما يدعو إلى قيام تلك الثورات ضده هنا وهناك، يضاف إلى ذلك أن حكومة الباشا كانت في تلك الفترة مشغولة بتثبيت أقدامها في نجد والخليج العربي، وكذلك قيام الثورة في عسير بقيادة سعيد بن مسلط ضد الباشا وقواته في المنطقة عام ١٢٣٨ هـ.

لقد نجحت ثورة عسير في هزيمة أحمد باشا - حاكم الحجاز - مِمَّا أدى إلى استتباب الأمور بعد عقد اتفاق بين الطرفين في شهر محرم عام ١٢٤١هـ[١].

وتشير الوثائق إلى أن أمير عسير قد بدأ التطلع لمدّ نفوذه باتجاه إمارة (أبو عريش)، ولذلك فقد حاول التدخل لإصلاح ذات البين بين الشريف وأهالي (صبيا) وأرسل في سبيل الوساطة رجلين من أتباعه لاستطلاع رأي الشريف في إمكانية إرسال أخيه سعيد مع ثلة من رجال عسير للنظر في الصلح، إلاَّ أن ذلك اعتبر تدخلاً من أمير عسير في شؤون المخلاف، وحينما علمت حكومة الحجاز بذلك طلب أحمد باشا من أمير عسير عدم التدخل وسحب هذه الوساطة[٢].

ويبدو لنا أن أمير عسير - بهذه الوساطة - كان يحاول التدخل في شؤون المخلاف فعلاً، بل ويريد السيطرة على الجزء الشمالي منه، وخاصة (صبيا) ومخلافها، التي كانت تعتبر منطقة نزاع دائم بين الإمارتين منذ عهد الشريف

( ) علي عسيري، عسير، ١٤٨.

(٢) دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة (١٠) بحريرا، وثيقة رقم ٦٨ رسالة موجهة إلى محمد علي بتاريخ ٩ ربيع الآخر ١٢٤١ هـ. انظر : عبدالرحيم عبدالرحمن، المرجع السابق، ٢٧٧/١.

حمود أبو مسمار، وشجعه على ذلك طلب أهالي وادي (بيش) و (صبيا) مساعدته ضد الهجمات اليامية التي ألحقت بهم ألواناً من الأذى والهوان[١].

وقد تلقى أمير عسير (علي بن مجثل) في مطلع عام ١٢٤٢ هـ رسالة من محمد بن حسن بن خالد الحازمي، يشرح له فيها الوضع في المخلاف السليماني ويطلب منه النزول إلى (صبيا) لضبط أمورها[٢].

ويعتبر الحوازمة وهم من أهالي (ضمد) ممن يمالئ أمير عسير ضد الأشراف نظراً للعلاقة السابقة بين الحسن بن خالد الحازمي وآل عائض في عسير.

وبناء على هذه التطورات قام أمير عسير سنة ١٢٤٢هـ بهجوم على (صبيا) محاولاً السيطرة عليها، وإخراج حاميتها التركية منها، ونتيجة لذلك فقد استنجد الشريف بأحمد باشا محافظ مكة، وطلب إمداده بقوة عسكرية للوقوف أمام أطماع أمير عسير[٣]، وقام أحمد باشا بإرسال مساعدة عسكرية تتمثل في عدد من العساكر والطوبجية يبلغ عددهم حوالي سبعمائة مقاتل[٤]، وقبل وصول القوة إلى (أبو عريش) كان الاتفاق قد عقد بين أمير عسير والشريف على أن يقوم الشريف بنقل الجنود الموجودين في قلعة (صبيا) إلى مكة خلال شهر.

وتشير الوثائق إلى أن أحمد باشا قد أخبر محمد علي باشا بالواقع حيث تقول الوثيقة : «وتذكرون في المكاتبة الواردة أخيراً، أن الشريف علي بن حيدر،

---

(١) علي عسيري، المرجع السابق، ١٤٨. (٢) هاشم بن سعيد النعمي، تاريخ عسير، ١٧٧

(٣) دار الوثائق القومية، دفتر (٢) عابدين وثيقة رقم ٩٩، رسالة من محمد علي إلى أحمد باشا، محافظ مكة بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١٢٤٢ هـ.

انظر : عبدالرحيم عبدالرحمن، المرجع السابق، ٣٧٩/١.

(٤) عاكش، المرجع السابق، ٢٥٨.

أرسل لكم مكاتبة يقول فيها : إن علي بن مجثل تلاقى معه في محل قريب من (أبو عريش)، وعرض عليه الاتفاق فيما إذا نقل الجنود إلى مكة في خلال شهر، وطلب منه إخراج رجاله من قلعة (رحبان)، وأنه أمهله لغاية رجب»[١]، وعاد أمير عسير منتظراً ومتربصاً.

وبعد وصول تلك القوة إلى الشريف توجه بها إلى (ضمد) لتأديب لحوازمة على موقفهم منه ولدورهم في معاضدة أمير عسير ضده، ولما بلغ لحوازمة ذلك فرُّوا ليلاً قبل وصوله، وفي مقدمتهم السيد أحمد بن حسين والسيد محمد بن حسن بن خالد الحازمي، واتجهوا إلى أمير عسير طالبين النجدة والمساعدة ضد الشريف، وتوجه الأمير علي بن مجثل بجيشه مرة أخرى إلى (صبيا)، وكان بقلعتها الشريف حيدر بن ناصر عاملاً من قبل عمّه الشريف علي بن حيدر، وحاول الأمير الاستيلاء عليها، واستعصت عليه لقوة المدافعين عنها، وجنح الأمير بعد ذلك للمسالمة، وأرسل الأموال إليهم لاستدراجهم، وأخلوها له، وعيَّن أحد قواده ويسمى مغرم بن مشاري أميراً عليها، وارتحل عائداً إلى السراة في شهر رمضان ١٢٤٢ هـ[٢].

وتشير الوثائق إلى أن محمد علي قد طلب من أحمد باشا محافظ مكة أن يبذل جهده لحل المسألة بالحكمة والسياسة نظراً لانشغال القوات المصرية في حروب المورة واليونان، وعدم إمكانية إرسال قوات إضافية إلى المنطقة لدعم الأشراف.

( ) دار الوثائق القومية، دفتر (٢) عابدين وثيقة رقم ١٠٩، رسالة من محمد علي باشا إلى أحمد باشا محافظ مكة بتاريخ ٣ رمضان سنة ١٢٤٢ هـ.

انظر : عبدالرحيم عبدالرحمن، المرجع السابق ١/٣٨١.

(٢) عاكش، المرجع السابق، ٢٥٩.

وعلى الرغم من ذلك فإن محافظ مكة قد قام بتدبير بعض القوات وإرسالها إلى الشريف، ووصلت قوات الباشا لمساعدة الشريف، واتجهوا لقلعة (صبيا) حيث كان موجوداً بها جنود من عسير، وأطلقوا المدفعية، وكادت تسوى القلعة بالأرض، وطلب العسيريون الأمان والعفو عنهم، ولبَّى الشريف طلبهم، ثُمَّ استولى على (صبيا) وعيَّن عليها عاملاً من طرفه، وعاد بعد ذلك إلى(أبو عريش)[١].

وعندما علم الأمير علي بن مجثل بما حدث لقواته في (صبيا) حشد جيشه وتوجه إلى (أبو عريش) لقتال الشريف علي بن حيدر الذي استعد للمعركة، وتوسط البعض للصلح بين الطرفين، ورأى الشريف علي بن حيدر بخبرته السياسية الموافقة على الصلح، ودارت المفاوضات، واتفق فيها الطرفان على عودة (صبيا) ومخلافها إلى الأمير العسيري علي بن مجثل، ومن ثَمَّ عاد الأمير إلى بلده[٢].

وفي مطلع عام ١٢٤٣ هـ تحرك الأمير العسيري باتجاه المخلاف السليماني مرة أخرى، ولا نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يشير إلى سبب تلك الحملة على عاصمة المخلاف (أبو عريش)، ولعله كان يحاول السيطرة عليها، أو يحصل على الأقل على وعد من الشريف بإخراج القوة العثمانية الموجودة لديه وإعادتها إلى الحجاز، حيث إن تلك القوة تمثل هاجساً يقلق إمارة عسير الثائرة ضد حكم الباشا والدولة العثمانية.

والتقى الطرفان في مكان ما شمال (أبو عريش)، واستعد الشريف لملاقة خصمه، مستعيناً بالقوة العثمانية الموجودة لديه، ووضع المدافع في مقدمة

(١) هاشم النعمي، المرجع السابق، ١٧٨.

(٢) عاكش، المرجع السابق، ٢٦١.

الجيش واستعد للقتال، وتوسط البعض بين الطرفين، ولعلَّ أمير عسير حينما رأى استعداد الشريف ومدى القوة الموجودة لديه، رأى أن المواجهة قد لاتكون في مصلحته فاكتفى بتأكيد الاتفاق السابق، وهو استمرار السيطرة العسيرية على (صبيا) ومخلافها، وقام بتعيين محمد بن حسن بن خالد الحازمي أميراً عليها وعاد إلى بلاده[١].

وانطلاقاً من مبدأ التبعية لحكومة الحجاز فقد قام الشريف بتنظيم جيشه بطريقة معاصرة، منظماً إياهم بالزي الإفرنجي، ورتب أمورهم في السلم والحرب مستعيناً في ذلك بالقوات التي أرسلها محمد علي التي تسمى (الحمران)، وكان فيها جماعة من الفرسان المغاربة[٢]، وقد لوحظ اشتراك المغاربة في القوات العثمانية على أساس أنهم من رعايا الدولة العثمانية، ولهم مؤثرات اقتصادية واجتماعية في الشرق العربي[٣]، ويذكر (عاكش) أن الشريف قد استغنى بهذه القوات عن القوات المرتزقة التي كان يستأجرها من (همدان) و (يام) وغيرهما[٤].

وعمل الشريف علي بن حيدر على توطيد علاقاته بمحمد علي باشا، وكان وسيطه في ذلك أحمد باشا محافظ مكة المكرمة، واستمر الشريف في الدعاء لسلطان العثماني على منابر المساجد، مبرراً ذلك للمقربين إليه أن الانتماء إلى العثمانيين ومحمد علي لم يكن عن رغبة أكيدة في نفسه، وإنَّما رغبة في الاستفادة منهم ضد هجمات أمير عسير المتتالية على إمارته[٥].

---

(١) عاكش، المرجع السابق، ٢٦٤.

(٢) نفسه، ص ٢٦٥ ؛ محمد أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ٥٠٧/١.

(٣) انظر بهذا الخصوص : عبدالرحيم عبدالرحمن، المغاربة في مصر في العصر العثماني.

(٤) عاكش، المرجع السابق، ٢٦٦. (٥) عاكش، المرجع السابق ٢٦٦.

واستتب الوضع حتى عام ١٢٤٦ هـ حينما قام علي بن مجثل بغزو تهامة اليمن متجاوزاً إمارة (أبو عريش) إلى أن وصل قرية (دوغان) من بلاد (صليل)، حيث يوجد فيها قلعة بناها الشيخ إبراهيم بن علي الكلفود، الذي كان قد تمكن من تكوين قوة خاصة به قوامها العديد من الأتباع والعبيد، واستباح لنفسه والتابعين له القبائل المجاورة الأخرى وعاث فيها فساداً، واستولى علي ابن مجثل على قلعته وخربها، وعيَّن عليها الشريف حسن بن بشير بن محمد ابن أحمد بن خيرات عاملاً من طرفه، حيث اتخذ من قرية (مور) مركزاً لإقامته[١]، وعاد ابن مجثل بعد ذلك إلى عسير.

ومهما كانت الأسباب التي أبداها أمير عسير في سبيل الاستيلاء على بلاد (صليل) واتخاذ الكلفود سبباً لتلك الحملة، فإننا نتوقع أن هناك سبباً رئيساً كان يُحاول إخفاءه، وهو محاولة تطويق الشريف من الجنوب، وإيجاد موطئ قدم له يساعده على الانقضاض على (أبو عريش) في الوقت المناسب حيث كان يتحيَّن الفرص المناسبة لذلك ويتكئ على بعض الحوادث والمستجدات لتبرير حملاته المتتالية على تهامة.

وحدث بين الشريف حسن بن بشير - العامل من قبل ابن مجثل - والشريف الحسين بن علي - والمعيَّن من قبل والده على (الزهراء) -نزاع بسبب مساقي الماء، وبذل أعيان الناس مساعيهم لاحتواء الموقف، ولكنها فشلت، وحدث القتال وأدى لقتل أحد رجال علي بن مجثل[٢].

وعندما علم علي بن مجثل بذلك أرسل في عام ١٢٤٨ هـ بعض قواته

(١) نفسه، ٢٧٠ - ٢٧٣ ؛ العقيلي، المرجع السابق، ٥٠٧/١.

(٢) عاكش، المرجع السابق، ٢٧٨ ؛ العقيلي، المرجع السابق، ٥٠٨/١.

بقيادة رجل يدعى مُريّح، وكان في الظاهر يعمل على إصلاح الأحوال بين الطرفين، والواقع أنه كان يؤيد الشريف حسن بن بشير، في موقفه ضد الشريف الحسين بن علي، وعندما استقر مُريّح في (مور)، سُرَّ الشريف الحسين بن علي بذلك، وخاطبهم بالرسائل، ولكنهم أعلنوا قرارهم بإدانة الشريف الحسين، وأيقن الشريف أن الحرب آتية لا ريب فيها، واستعد الجميع للمعركة، واتجه الشريف بجنوده إلى قرية (اللجام)، وبدأت المعركة، وانتصر الشريف الحسين وقتل مُريّح، وعاد الشريف إلى (الزهراء) وأخبر والده بذلك[1].

وعندما علم الأمير علي بن مجثل بذلك قرر الاستيلاء على تهامة، وخرج بجيشه حتى وصل إلى (صبيا)، واستقر بها لترتيب أموره استعداداً لحصار (أبو عريش)، وتدخل أحمد بن إدريس المغربي[2] للصلح، ولم ينجح في ذلك، ولما علم الشريف علي بن حيدر بقدوم الأمير أحرق المدينة وحشد جنوده واتجه إلى (الديرة) وتحصن بها، وانضم إلى الأمير علي بن مجثل أشرافُ قرية (البيض)، وعسكر في غربي (أبو عريش)، عندئذٍ أطلق الشريف علي بن حيدر مدفعيته المتصلة، وقتل الكثير من جنود الأمير علي بن مجثل.

---

(١) عاكش، المرجع السابق، ٢٧٩ - ٢٨٢.

(٢) صاحب الطريقة الأحمدية المشهورة، هاجر من المغرب إلى مكة المكرمة، واستقر بها حوالي ثلاثين سنة، ثُمَّ انتقل إلى تهامة اليمن ومنها إلى صبيا عام ١٢٤٥ هـ واستقر بها، وكان له فيها مكانة كبيرة وعدد من المريدين والأتباع، توفي عام ١٢٥٣ هـ، وكان له مقام يزار بعد وفاته حتى هدم بعد ضم منطقة جازان إلى الدولة السعودية الحديثة في عهد الملك عبدالعزيز يرحمه الله.

انظر لمزيد من التفصيل عن حياته وآرائه وطريقته : عاكش، عقود الدرر ٧٤/١ ؛ حدائق الزهر ١١٩.

واستطاع الشريف بمساعدة الحامية التركية الموجودة لديه أن يصد هجوم رجال عسير وإجبارهم على التراجع، وفك الحصار، يقول عاكش في وصف المعركة : «وطال ما بين الرعيلين التشاجر بأطراف الرماح، والتصافح بأكف الصفاح، وانتهى الأمر أن قهرت بآخر المعركة العصابة الحسنية وتولت طائفة الخيل النجدية... ولما وصلوا مطرحهم وهم بين قتيل وجريح، وداعي الردى بين خيامهم يصيح، وبات الأمير في ليلة نابغية وأحزان يعقوبية ؛ لأنه تحقق أنها قد انكسرت سورة الأجناد، ومع الحاصل فيهم لا يبلغ بهم المراد»[١].

واستغل ابن مجثل مرور تركجة بيلمز[٢] الثائر ضد محمد علي في الحجاز في طريقه إلى اليمن، ورأى في وجود هذا الثائر الذي يملك السفن والأسلحة والعساكر النظامية فائدة له ولقوات عسير، وتم الاتفاق بين الطرفين

(١) عاكش، الديباج الخسرواني، ٢٨٣ - ٢٨٧.

(٢) تركي بيلمز هو لقب قائد ثورة الجنود غير النظاميين في الحجاز، واسمه الحقيقي محمد آغا، وقد قام بثورته ضد محمد علي باشا في مطلع ١٢٤٨ هـ، بسبب تأخر مرتبات الجنود لمدة تزيد عن عشرة أشهر نظراً لانشغال محمد علي في حروب الشام، وقد مرت الثورة بعدة مراحل في جدة ومكة والمدينة المنورة، وزاد في حدتها تشجيع السلطان محمود الثاني للثوار ضد محمد علي باشا، وعندما أرسل محمد علي باشا قوة ضخمة بقيادة أحمد باشا يكن إلى الحجاز نقل قادة الثورة حركتهم باتجاه اليمن نظراً لخبرتهم بالمنطقة أثناء حروب محمد علي باشا ضد عسير، وقد تصادق تركي بيلمز مع علي بن مجثل مؤقتاً وسيطر على الساحل اليمني إلى المخا، ولما ظهرت منه أفعال تدل على فساده وعدم انضباطه قام علي بن مجثل بقيادة قوة من عسير تمكنت من مهاجمة تركي بيلمز وقواته في المخا، وقضى عليهم، وفرّ تركي بيلمز وبعض أعوانه على ظهر باخرة إنجليزية إلى بومباي ثُمَّ إلى البصرة، حيث واصل نشاطه المضاد من هناك.

انظر : عبدالرحيم، محمد علي باشا وشبه الجزيرة العربيَّة ١٧١/٢ - ١٩١ ؛ أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ٣٩ ؛

- Play fair , Ahistory of Arabia Felix , 141 - 144

على التعاون في المجال الحربي، وعلى أن تكون الفتوحات باسم علي بن مجثل أمير عسير[١].

وبناءً على هذا الاتفاق أعاد أمير عسير الكَرَّةَ على (أبو عريش) وتوسط البعض للصلح، وتم الاتفاق بالشروط الآتية[٢] :

أ - أن تحتل مدينة (أبو عريش) بحامية عسكرية عسيرية، في قلعتها المسماة بدار النصر، وعُيِّن عليها الأمير عائض بن مرعي قائداً لها.

ب - أن يرحّل الأمير علي بن حيدر الجنود الأتراك إلى الحجاز.

جـ - أن يبقى علي بن حيدر في الإمارة كنائب، ويشير العقيلي إلى أن علي بن مجثل لم يف بالشرط الثالث بل استولى على البلاد كلياً[٣].

وبعد وفاة علي بن مجثل انتقلت الإمارة إلى عائض بن مرعي، واستغل الشريف علي بن حيدر هذا التغيير في إمارة عسير، وأعلن استقلاله عن عسير وإلغاءه للاتفاقية المعقودة بين الطرفين، زاعماً أن أمير عسير لم يلتزم بشروطها، يقول مؤرخنا عاكش وهو معاصر للأحداث : «... ولما كان الأمير علي بن مجثل لم يف للشريف علي بن حيدر، بما وقع عليه الصلح الذي كان، وعامله بما لا يليق بمقامه العظيم الشأن، واستولى على القطع والحقوق، ولم يبق لنفاق الشروط عنده سوق، رأى أنه بموته قد برئ من العهد، ولا يرضى أن يدخل بعده تحت طاعة أحد»[٤] .

وأرسل أمير عسير إلى الشريف وفداً لأخذ البيعة وتأكيد العهد دفعاً

(١) علي عسيري، المرجع السابق، ١٥٤.

(٢) العقيلي، المرجع السابق، ٥٠٨/١.

(٣) نفسه، ٥٠٨/١.

(٤) عاكش، الديباج الخسرواني، ٢٩٩.

للحرب وما تجره من ويلات على الطرفين، ولكن الشريف رفض، ورجع الوفد دون أي نتيجة تذكر[١].

هنا قرر أمير عسير النزول إلى تهامة، وتقدم بجيوشه إلى هناك في شهر ذي القعدة سنة ١٢٤٩ هـ ووصل إلى (صبيا) حيث رتب جنوده ورسم خطته وتقدم إلى (أبو عريش) وحاصرها، ويذكر عاكش : «أن معظم أهل (أبوعريش) كانوا ممالئين لابن عائض ضد الشريف»[٢]، وفي هذا إشارة ذاتُ مغزى إلى استياء الناس من حكم الشريف ورغبتهم في البديل المناسب.

وقد تخلف الشريف علي بن حيدر عن قيادة قوات الدفاع لمرض أصابه، وخرج بدلاً منه الشريف يحيى بن أبي طالب، والتقى مع فرسان عسير بقيادة محمد بن حسن بن خالد، ودارت معارك بين الطرفين انتهت بهزيمة قوات عسير.

أيقن الأمير عائض بن مرعي صعوبة الاستيلاء على (أبو عريش) فقرر الانسحاب والعودة إلى بلاده في العاشر من ذي الحجة من العام نفسه[٣].

وكان الشريف قد أرسل إلى أحمد باشا محافظ مكة يطلب المساعدة للوقوف أمام القوات العسيرية، ووصل إليه مجموعة من الجنود بعد انسحاب الأمير عائض إلى السراة، وتمكن الشريف بمساعدة هذه القوة من إخراج الحامية العسيرية من (أبو عريش)، والتي كانت بقيادة مغرم العسيري، ثُمَّ توجه إلى (صبيا)، وكان فيها السيد محمد بن حسن الحازمي عاملاً لأمير

(١) هاشم النعمي، المرجع السابق، ١٩٦.
(٢) عاكش، الديباج الخسرواني، ٣٠١.
(٣) هاشم النعمي، المرجع السابق، ١٨٦.

عسير، والذي لم يستطع الوقوف أمام قوات الشريف، فطلب الأمان وأخلى المدينة من رجال عسير المرابطين في قلاعها، وعادوا إلى السراة، وهناك توفي محمد بن حسن الحازمي بعد مدة قصيرة[١].

وهنا أصبح الشريف يسيطر على المخلاف السليماني دون منافس، ولم يبق خاضعاً لعائض بن مرعي سوى المناطق الواقعة شمالي بلدة (الدرب)، بالإضافة إلى الموانئ الساحلية اليمنية التي سبق أن استولى عليها علي بن مجثل قبل وفاته أثناء ثورة (تركجه بيلمز)، حيث أقام فيها حاميات عسيرية[٢]، وهي تمتد من (الزيدية) إلى (المخا)[٣].

إلاَّ أن سيطرة عسير على الموانئ اليمنية لم تمتد طويلاً، فقد كان محمد علي باشا يتطلع إلى الاستيلاء عليها، حيث ظهرت أهميتها بالنسبة للحجاز ومصر، واتضحت الأطماع الاستعمارية في البحر الأحمر، إضافة إلى أن هذه الموانئ كانت تشكل خطاً استراتيجياً هاماً لكل من عسير ومحمد علي والدولة العثمانية[٤].

وقد شجعت هزيمة عائض بن مرعي على أسوار (أبو عريش) محافظ مكة - أحمد باشا - بالتنسيق مع محمد علي باشا - والي مصر - على إرسال حملة عسكرية بقيادة محمد أمين وصلت إلى المخلاف السليماني في مطلع عام ١٢٥٠هـ، ومعها تعليمات بأن يصحب الشريف الحسين بن علي بن حيدر هذه الحملة في مهمتها الرامية إلى الاستيلاء على الموانئ اليمنية، وإخراج

(١) عاكش، الديباج الخسرواني، ٣٠٣.
(٢) علي عسيري، المرجع السابق، ٢٩٨.
(٣) عاكش، الديباج الخسرواني، ٣٠٥.
(٤) علي عسيري، المرجع السابق، ٢٩٩.

القوات العسيرية المرابطة فيها، وبسط سيادة الباشا على تلك النواحي[١].

وسارت الحملة بحراً وبراً حتى وصلت الحديدة وحاصرتها، واستسلمت الحامية العسيرية فيها بقيادة محمد بن مفرح المغيدي، وسقطت الموانى والمدن الساحلية اليمنية تباعاً، ولم يستطع أمير عسير تقديم أية مساعدة تذكر لحامياته هناك، وذلك بسبب وجود إمارة (أبو عريش) بين عسير وتلك الموانى مِمَّا يجعل وصول الإمداد إلى تلك الحاميات في حكم المستحيل، إضافة إلى المعلومات المتواترة التي وصلت إلى أمير عسير بالتجهيزات الخاصة بحملة محمد بن عون المباشرة على عسير[٢].

وعندما تمت السيطرة على اليمن، أرسل محمد أمين قائد الحملة تقريره إلى محمد علي باشا والي مصر يبلغه بنجاح المهمة، حيث أصدر قراره بتعيين إبراهيم باشا[٣] حاكماً على اليمن، وتقدم بجيشه بحراً حتى وصل إلى (القنفذة)، ومنها إلى بلاد السراة، وسلك طريقاً صعباً إلى قرية (الشعبين ، وقاتله الأهالي وتمكنوا من قتل بعض جنوده وأسر البعض الآخر، فانسحب بمن بقي معه، ورجع بهم إلى (القنفذة) متجهاً إلى (الحديدة) بحراً، ودخلها في عصر يوم الخميس رابع جمادى الأولى سنة ١٢٥١هـ، وقابله الشريف الحسين ومحمد أمين، وأعلن القرار الخاص بجعله والياً على اليمن، واتخذ (الحديدة) عاصمته، ووزع جنوده في أنحاء البلاد[٤].

وبالنسبة للموقف في اليمن بعد خضوعه لسيطرة محمد علي باشا فقد

(١) العقيلي، المرجع السابق، ٥٠٩/١.

(٢) علي عسيري، المرجع السابق، ٣٠٠.

(٣) يقال إنه ابن أخت محمد علي باشا.

(٤) عاكش، الديباج الخسرواني ٣١٨ - ٣٢٠، العقيلي، المرجع السابق، ٥٠٩/١.

أُمر محمد أمين بالعودة إلى مكة، وكان الشريف الحسين يتطلع إلى تعيينه حاكماً على اليمن، ولكن شيئاً من ذلك لم يتم، وعاد إلى (الزهراء)، وقرر له محمد علي معاشاً شهرياً من حاصلات (اللحية). وتفرَّغ بعد ذلك للدراسة والمذاكرة مع أهل العلم والأدب[١].

واستقرت الأحوال في تهامة اليمن، ولكن قبيلة (يام) كعادتها كانت تطمع في الاستيلاء على بعض الغنائم، ففي أواخر عام ١٢٥١هـ نزلوا بقواتهم إلى وادي (بيش)، وانزعج إبراهيم باشا لذلك، فأصدر أوامره للشريف الحسين بقيادة الجنود العثمانيين لصدهم والوقوف أمامهم، واتجه الشريف إلى (بوعريش) يستأذن والده.

ويذكر عاكش أن الشريف علي بن حيدر لم يكن راضياً عن تلك الحملة حيث يقول : «واستمد الإذن من والده، وربَّما لم يحمد ذلك الفعال، لكون هذه الفئة جندهم عند اصطدام البلايا، وكم قد تجلت بهم لهم ولسلفهم من رزايا»[٢].

واتجه الحسين من (أبو عريش) إلى (صبيا)، وعلم أنهم - يام - قد استولوا على قرية (العداية)، وبحث الموقف، وقرر مفاجأتهم بالهجوم، واستغل الأسلحة الحديثة والتنظيم الجيد للجيش الذي يقوده، وألحق بقبائل يام هزيمة مكرة، وعاد إلى (صبيا) ومن ثَمَّ إلى (أبو عريش)، حيث تغنّى الشعراء بانتصاره[٣].

---

(١) عاكش، الديباج الخسرواني ٣٢١، العقيلي، المرجع السابق، ٥٠٩/١.

(٢) عاكش، الديباج الخسرواني، ٣٢٢، العقيلي، المرجع السابق، ٥٠٩/١.

(٣) عاكش، الديباج الخسرواني، ٣٢٣.

وتجدر الإشارة إلى أن الحالة الصحية للجنود التابعين لمحمد علي في اليمن قد ساءت نظراً لرداءة الجو، واقترح إبراهيم باشا توفيق - سر عسكر اليمن - نقلهم من (أبو عريش) و (صبيا)، وإحلال الجنود الحضارمة بدلاً منهم، واستدعى الشريف الحسين، وتشاور معه في الأمر، واتفقا، وبلَّغ ذلك للشريف علي بن حيدر، ووافق الشريف على نقل الأورطة الأولى إلى (الحديدة)، وإبقاء الأورطة الرابعة لحماية قلعتي (أبو عريش) و (صبيا)[١].

وتشير الوثائق إلى أن الشريف علي بن حيدر كان يتوقع هجوماً وشيكاً على إمارته يقوم به أمير عسير بالتحالف مع قبائل يام، وأدى ذلك إلى طلب تأجيل نقل الجنود من (أبو عريش) و(صبيا)، بل وتوالت رسائل الشريف إلى كل من أحمد باشا - محافظ مكة - وإبراهيم باشا - سر عسكر اليمن - بطلب دعم الحامية الموجودة لديه، خاصة أن الفرسان الموجودين في (أبو عريش) لم يستفاد إلا من مائتي فارس، والباقون لا يستطيعون قياماً ولا قعوداً[٢].

وقد كان موقف أحمد باشا أكثر تحمساً لدعم الشريف، ويقول في رسالة إلى إبراهيم باشا - سر عسكر اليمن - : «وقد كنت كتبت في ٢٩ محرم سنة ١٢٥٣هـ إلى الشريف المشار إليه، وبيّنا لكم أننا مطلعون على اتفاق الأشقياء وإقدامهم على ارتكاب الأعمال السقيمة، وأننا نعلم تفاصيل أفعالهم الخبيثة، لأن جواسيسنا يغدون ويروحون في كل مرة...»[٣].

---

(١) دار الوثائق القومية، محفظة (٢٦٢) عابدين وثيقة رقم ٨٨ حمراء، رسالة من إبراهيم توفيق إلى المعة السنية بتاريخ ٦ صفر ١٢٥٣ هـ.

انظر : عبدالرحيم عبدالرحمن، المرجع السابق، ٤٠٢/١.

(٢) الوثيقة السابقة.

(٣) محفظة (٢٦٢) عابدين، وثيقة رقم ٨٨ حمراء، رسالة إلى إبراهيم باشا سر عسكر اليمن بتاريخ ٢٠ صفر سنة ١٢٥٣ هـ.

ويعاتب محافظ مكة - أحمد باشا - سر عسكر اليمن - إبراهيم باشا - على تأخر الجواب على رسالتيه السابقتي الذكر حتى يُمكن اتخاذ اللازم في وقته.

وقد قرر أحمد باشا محافظ مكة المكرمة إرسال قوة إلى (أبو عريش) مكونة من ثلاث أورط من آلاي المشاة السابع، وأورطة من الآلاي الثالث والعشرين، وتم تجهيز القوارب في ميناء جدة ريثما يصدر الأمر الأخير، نظراً لزداءة الجو في (أبو عريش) وما جاورها، وعدم التأكد من قيام عسير بالهجوم المرتقب.

«... إلاَّ أنه لما لوحظ أن الجو سقيم في تلك الديار، وأن الجنود عرضة للأمراض، وأن مواضع مهاجمة العدو لا تزال مجهولة لعدم انتقالهم من أماكنهم، رُئي وقف العساكر وإسكانهم بجدة حتى تتبين الجهة التي يساقون إليها، فيرسلوا محمولين على القوارب...»[(١)].

وكإجراء عاجل فقد وافق محافظ مكة على دعم الفرسان الموجودين في (أبو عريش) بقوة من فرسان المغاربة المقيمين في مكة المكرمة، وأمر بترحيلهم خلال خمسة أيام من تاريخ خطابه إلى إبراهيم باشا المؤرخ في ٢١ صفر سنة ١٢٥٣هـ[(٢)].

وعلى الرغم من هذا الاهتمام والتوقع، إلاَّ أن عسير ويام لم يقوموا بأي هجوم على المخلاف السليماني خلال تلك الفترة، ولعل السبب في ذلك أن أمير عسير كان يجهّز جيوشه فعلاً، ولكن ليس للانقضاض على إمارة

(١) دار الوثائق القومية محفظة رقم (٢٦٢) عابدين، وثيقة رقم ٨٨ حمراء، رسالة إلى إبراهيم باشا سر عسكر اليمن بتاريخ ٢١ صفر سنة ١٢٥٣ هـ. انظر: عبدالرحيم عبدالرحمن، المرجع السابق، ٤٠٣/١.

(٢) نفس الوثيقة.

(أبوعريش)، وإنَّما للاستيلاء على غامد وزهران، وأطلق في سبيل ذلك الإشاعات لإيهام القوات المرابطة في الحجاز بأن جهة الهجوم المرتقب هي (أبو عريش)[١]؛ وذلك لإرباك خصمه وتشتيت قواته، ولعل أحمد باشا قد أدرك ذلك، فلم يرسل القوات من جدة بل تركها تقيم هناك على أهبة الاستعداد فقط.

وفي جمادى الأولى من سنة ١٢٥٣ هـ قام أمير عسير على رأس جيش كثيف إلى غامد وزهران وسيطر عليهما وأضافهما إلى إمارته[٢].

ويشير الأستاذ علي عسيري إلى أن الشريف علي بن حيدر كان يوهم محمد علي بوجود تحالف بين يام وعسير، مع أن العداء بينهما كان كبيراً، وأنه من المستبعد أن يقوم تعاون مباشر بين يام وعسير[٣]. إلاَّ أنني أرى أن التعاون بين أمير عسير ويام وارد لعدة أسباب :

١ - أن قبائل يام كانت تقوم بدور الجنود المرتزقة، وقد استفاد منها أشراف (أبوعريش) أكثر من مرة، فما الذي يمنع أمير عسير من استخدامها والاستفادة منها.

٢ - أن قوات عسير كانت في مواجهة مباشرة مع قوات محمد علي في أكثر من جهة، في (غامد) وزهران، وفي (القنفذة) وما صاقبها، وفي (أبو عريش) و(صبيا)، وهذا يدعو إلى ضرورة الاستعانة بقبائل يام لإضعاف الخصم في (أبو عريش).

٣ - أن أمير عسير قد حاول الاستيلاء على (أبو عريش) في العام السابق،

(١) وثيقة رقم ١٤٤، نمرة (٣٨٧) رسالة من أحمد شكري إلى محمد علي بتاريخ ٣ شوال ١٢٥٣هـ. انظر : عبدالرحيم عبدالرحمن، المرجع السابق، ٤١٣/١.

(٢) هاشم النعمي، المرجع السابق، ١٩٣.

(٣) علي عسيري، المرجع السابق، ٢٠٤.

وفشل في السيطرة عليها وعاد خائباً؛ ولذلك فإن قيام قبائل يام بالمهمة بدلاً عنه، أو بالتعاون مع جنوده لصالحه، يعتبر مكسباً استراتيجياً.

وليس بالضرورة أن يكون ذلك تحالفاً بقدر ما يكون رغبة لدى أمير عسير، ولعله أوحى إلى يام برضاه عن ذلك، أو أرسل إليهم من يشجعهم على لقيام بتلك المهمة الصعبة في المخلاف السليماني، بهدف إشغال الخصم، وللاطمئنان بعدم الهجوم على قاعدته أثناء غيابه في حملته على غامد وزهران كما ذكرنا آنفاً.

وكانت وفاة الشريف علي بن حيدر كما يذكر عاكش في يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر جمادى الآخرة عام ١٢٥٤هـ[١]، وقد عثرت على وثيقة في أرشيف رئاسة الوزراء العثماني بإستانبول مؤرخة في ١٧ شوال ١٢٥٣ هـ فيها إشارة إلى وفاته[٢]، ولعل عاكش قد وهم في السنة فوضع الوفاة في أحداث عام ١٢٥٤ هـ وهي كانت في العام الذي سبقه.

ونستطيع أن نختم هذا المبحث بالقول: إن إمارة (أبو عريش) خلال فترة حكم الشريف علي بن حيدر كانت خاضعة كلياً لمحمد علي باشا وحكومة الحجاز، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ المحلي عاكش بقوله: «... وهذا الشريف علي يعتزي في الظاهر إلى محمد علي باشا، ولم تزل المكاتبة بينه وبينه دائرة بواسطة صاحب مكة أحمد باشا، والأمور فيما بينه وبينهم جميلة، والخطبة يعلن بها في المنابر للسلطان من آل عثمان، واستغنى بهؤلاء الأجناد في حفظ البلاد عن غيرهم من همدان، وقد حدثني من أثق به عن الشريف أنه ذكر له

( ) عاكش، الديباج الخسرواني، ٢٣٨.

(٢) خط همايون، وثيقة رقم: E /٢٠٥١٧ وتاريخ ١٧ شوال ١٢٥٣ هـ، إرشيف رئاسة الوزراء استانبول.

ما معناه أن المصاحبة للأتراك والاعتزاء إليهم لم يكن عن رغبة أو جهل بحقيقة ما هم عليه من الأمور الجارية على غير قوانين الشريعة ولله دَرُّ القائل :

وقد يتزيا بالهوى غيـــــر أهله

ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

لكن مع انفتاح فتنة أهل السراة عليه، وسعايتهم فيما يعود ضرره إليه وعدم مراعاتهم لحرمته لو قدروا، فما يرى يسعه إلاَّ المصاحبة لمن ذكر ليدفع به شر هؤلاء...»[1].

وفي هذا النص إشارة إلى تململ المجتمع المحلي ورفضه لوجود حاميات محمد علي باشا والخضوع لسلطانه، ويؤيد ذلك حركات التمرد المتوالية ضد الشريف في (صبيا) و(ضمد) و(الحسيني) و(الملحا) وغيرها، وهي من المواقع المهمة التي تعيش فيها عائلات ذات نفوذ وسلطة ومعظمهم من الأشراف، وقد كانت هذه الأسر على اتصال وثيق بإمارة عسير المناوئة لحكومة الحجاز العثمانية، ولعلنا نستطيع القول هنا: إن أشراف المخلاف السليماني لم يكونوا جميعاً متفقين على وجود القوات العثمانية في المنطقة، وما اتصالهم المستمر مع إمارة عسير المناوئة للأتراك إلاَّ دليل واضح على هذا التوجه.

وقد استمرت إمارة (أبو عريش) تابعة لمحمد علي باشا حتى بعد وفاة الشريف علي بن حيدر ومطلع حكم ابنه الشريف الحسين وحتى خروج قوات الباشا من السواحل اليمنية وإمارة (أبو عريش) في أواخر شهر صفر ومطلع ربيع الأول سنة ١٢٥٦ هـ حيث دخلت في مرحلة جديدة من الاستقلال المؤقت ثُمَّ التبعية العثمانية كما سنرى في المبحث الثاني.

---

(١) عاكش، الديباج الخسرواني، ٢٦٧.